

# السَّاد

## أَسْمَاءٌ هَجِينَةٌ وَالْأَصْلُ عَرَبِيٌّ

الدكتورة سُرَى سَبْعُ العيش

مع أن المعجم الطبي الموحد قد وضع آلاف المصطلحات ووافق على اعتماد تسميات علمية عربية قديمة لمدلولات طبية، كانت من الوضوح والسهولة ورشاقة اللفظ بمكان، إلا أننا لا نزال نقرأ في المقالات العلمية والطبية التي تنصدر المجالات العلمية والثقافية العربية، وكذلك نرى في التقارير الطبية كتابة أسماء الأمراض ملفوظةً باللغات الأجنبية ومصورةً بحروف عربية. وهنا نتساءل أترأه الإصرار على الاستهانة بتعريب الكلمات الطبية، أم توهمُ بعض الأطباء بأنهم يزيدون رفعةً ويتفوقون شأنًا حين يزخرفون تقاريرهم بكلمات أعجمية، أم هو الجهل عن حسن نية بأن لتلك الألفاظ الطبية مرادفات عربية أجمل وأحلى وأصدق تعبيراً... علماً بأن الكثير من الكلمات الطبية هي ذات تسمية عربية أصلاً.. كما هو الأمر في كلمة السَّاد. والسَّاد كلمة تطلق على المرض الذي يصيب العدسة البلورية في العين بالكثافة فتصبح بيضاءً ظليلة بعد أن كانت شفافةً راتقةً، فتُعيق الرؤية وتُحدث العمى. ومع أن كلمة الساد تكاد تصبح شائعة لدى معظم الناس في عالمنا العربي بمن فيهم الأطباء إلا أننا نُجابهُ حتى في الكتابات الطبية الأدبية المنشورة في أشهر المجالات الثقافية العربية<sup>(١)</sup> بكلمة كتاراكت بدلاً منها فمن أين جاءت هذه الكلمة (كتاراكت)؟.

لقد ظهرت كلمة كتاراكت في أول ترجمة لاتينية لكتاب طبي عربي<sup>(٢)</sup>. وتذكر كتب تاريخ طب العيون أن أول من استعمل هذه الكلمة هو قسطنطين الإفريقي أو كما يسميه الغرب كوستانتينوس أفريكانوس الذي ولد في مدينة قرطاج عام ١٠١٥

للميلاد وكان مسلماً ولكنه وبظروف غامضة تهود ثم تنصر وأصبح راهباً في دير مونت كازينو وربما كان له تأثير كبير في نشوء مدرسة ساليرنو في إيطاليا وقد توفي عام ١٠٧٨م<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر في كتابه باللغة اللاتينية المسمى **(كتاب العين)** كلمة كتاراكت إنابة عن المرض المسمى نزول الماء أو الماء النازل في العين. وقد تبين أن **(كتاب العين)** الذي ادعى قسطنطين الإفريقي أنه ألفه وأهداه إلى تلميذه جوهانس لعدم توافر كتاب عن العين باللغة اللاتينية - ليس إلا ترجمة حرفية لكتاب **(العشر مقالات في العين)** الذي ألفه حنين بن إسحق العبادي (٨٠٨-٨٧٣م) وأن قسطنطين الإفريقي ما هو إلا ناقل دَعِيَ ترجم الكتاب إلى اللاتينية ثم ادعى تأليفه وطمس اسم صاحبه وغيب ذكره عمداً<sup>(٣)</sup>. وقد وَضَعَ كلمة كتاراكت عنواناً للفصل السابع والعشرين من الكتاب. وعندما عاد ديمتريوس وترجم الكتاب إلى اللاتينية وضع عنوان الفصل السابع والعشرين كلمة صفوزيون ومعناها الارتشاح، للدلالة على نزول الماء في العين. فلما ترجم جيراردوس من كريمونة (١١١٤-١١٨٧) كتاب أبي القاسم الزهراوي **(التصريف لمن عجز عن التأليف)** ترجم عبارة قدح الماء النازل في العين بعبارة: علاج الماء النازل في العين أو الكتاراكتا. بينما وردت في ترجمة كتاب **(القانون)** لابن سينا وكتاب **(المنصوري)** للرازي كلمة الماء للدلالة على المرض العيني ذاته، ولم تستعمل كلمة كتاراكت<sup>(٤)</sup>.

حتى إن غي دي تشولياك أشهر طبيب فرنسي في القرن الرابع عشر ذكر في كتابه كلمة الماء واعتبره خطأ مرحلة سابقة لحدوث الكتاراكتا<sup>(٤)</sup> وقد اقتبس اثنتين وستين مرة من كتاب **(تذكرة الكحالين)** لعلي بن عيسى، في كتابه الشهير الجراحة الكبرى. وهكذا شاع استعمال كلمة كتاراكت التي تعني باللاتينية شلال الماء وأصبحت النموذج المحتذى في الترجمات اللاتينية للكتب الطبية العربية في القرن الثاني عشر وما بعده<sup>(٥)</sup>. وهكذا نرى أن قسطنطين الإفريقي هذا ولكرّه للأصل العربي الذي تنكر له وللإمعان في التمويه وإخفاء أصل الكتاب الذي ترجمه إلى

اللاتينية وانتحلته لنفسه اختار كلمة كتاراكت وهي مشتقة من أصل يوناني وتعني الباب السّاد الذي ينزلق من الأعلى إلى الأسفل فيسد مجرى الماء، علماً بأن الأطباء الإغريقيين القدامى الذي تتلمذ الأطباء العرب أصلاً عليهم لم يستعملوا كلمة كتاراكت للدلالة على داء السّاد وإنما استعملوا كلمة صفوزيو التي تعني الارتشاح<sup>(٦)</sup>. وعلى كل لم يقتبس من (كتاب العين) الذي ادعاه قسطنطين ولم يرجع إليه الكثير من أطباء أوروبا في القرون الوسطى<sup>(٧)</sup> ما عدا روجر بيكون الذي اعتمده في شرحه الجهاز البصري.. علماً بأن روجر بيكون هذا قد اتهم من قبل كثيرين بأنه استنسخ نظرية ابن الهيثم وتطبيقاتها بالنسبة إلى العدسات المكبرة<sup>(٨)</sup>.

ثم عرف العالم أجمع أن الداء ليس ماء وليس نزول ماء في العين أو انصبابه فيها وإنما هو مرض في عدستها البلورية يصلب ويكثف ويعتم ويغير الطبيعة الشفافة فيها وذلك عندما شرّح العالم الألماني ورنر نورفيلك عام ١٦٥٦م<sup>(٩)</sup> للمرة الأولى عين إنسان ميت كان قد أصيب في حياته بالداء المسمى نزول الماء في العين. فاكتشف أن المرض هو في العدسة البلورية ذاتها. ومع ذلك فقد بقي الأوروبيون يستعملون كلمة كتاراكت لاعتباراتها التاريخية وللدلالة على مرض العدسة البلورية. واستبدلنا بكلمة السّاد كلمة الماء ذات الدلالة المغلوطة. والسّاد أبلغ في الإشارة إلى الداء الذي يسد مجرى النور ويعيق شلال الضياء عن عبور العين. وقد شاعت هذه الكلمة في الأوساط الطبية العربية، وقبل بها وتبناها المعجم الطبي الموحد<sup>(١٠)</sup>، فلم التغريب والنشوز عند كتابة الأدب الطبي.

## المصادر العربية والأجنبية:

- (١) د. سامي محمود علي: عيناك.  
مجلة العربي العدد ٣١١ ص ٩٨-١٠٣، ١٩٨٤م/١٤٠٥هـ  
و د. سعيد السماهيجي: علاج للكتراركت بدون جراحة.  
مجلة العربي - العدد ٣٧٠، ص ٤٢، ١٩٨٩م، ١٤١٠هـ.
- (٢) Julius Hirschberg, In History of Ophthalmology Vol. 2 P. 261  
translated to English by Frederick C. Blodi 1985.
- (٣) Julius Hirschberg, The monastic Medicak Sciences, in The  
Transaction of the Royal Pursisian Academy of Scien. XLIX 1903.
- (٤) Guy de Chauliac, La Grande Chirurgie page XLVIII Publisher  
E. Nicaise 1890.
- (٥) The American College Dictionary Publisher Random House  
Toronto page 189, 1980.
- (٦) Transaction of the Royal Academy of Paris; page 2-3 1706.
- (٧) Julius Hirschberg, The books of ophthalmology and Ophthalmo-  
logists of the Lated Middle Ages, in The History of Ophthalmooogy  
Vol. 2 P. 257 Translated by Frederick Blodi 1985.
- (٨) د. سري سبيع العيش - ابن الهيثم رائد علم البصريات، المجلة
- (٩) Julius Hirschberg, Dispute about the nature of cataract in History  
of Ophthalmology, Vol 3 page 5 Translated to English by Frederick C.  
Blodi 1984.
- (١٠) المعجم الطبي الموحد، ص ١٤٨، الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.